مجاهدة النفس ومحاسبتها



يقول ا□ سبحانه وتعالى: (يَا أَيَّهُا الَّنَذِينَ آمَنهُوا ْ كُتْرِبَ عَلَيْكُمُ الصَّيِامُ كَمَا كُتْرِبَ عَلَى الَّنَذِينَ مِن قَبِيْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّعَوْنَ) (البقرة/ 183).

عندما نستقبل هذا الشهر المبارك، فإن علينا أن نُعد ّ أنفسنا إعدادا ً روحيا ً للدخول في رحابه، حيث نشعر كما ورد في الخطبة المروية عن النبي ّ (ص)، بأنسّنا في ضيافة ا□، فعلينا أن نحص ًل هذه الضّيافة، التي هي مغفرة ُ ا□ ورضوانه ورحمته ولطفه ورزقه، ما يجعل الإنسان قريبا ً من ربّه بعقله وقلبه وروحه وحياته.

ونحن نحتاج كثيرا ً للحصول على هذا القرب من ا□، لأنّنا عندما نفكّر في وجودنا، نعي أنّ ا□ هو الذي منحنا هذا الوجود (هل من خال ِق ٍ غير ُ ا□) (فاطر/ 2)؟ وإذا أردنا التفكير في حركتنا كلّها في الحياة، فإنّنا ندرك أنّها من نعَم ا□ (و َمَا بِكُمْ مِنْ نعِهْمَة ٍ فَمِنَ ا□.) (النّحل/ 53) (و َإِنْ تَعُدّ ُوا نعِهْمَة َ اللَّهَ ِ لا تُحْصُوهاً) (النّحل/ 18). إنّنا نعر ِفُ أنّ حياتنا بآلائها هي من ا أ، وفي رعايته، حتى إنّ ا أي يعطينا نعمه على رغم معاصينا وابتعادنا عمّا فرض علينا من واجبات، وهذا ما عبّر عنه الإمام عليّ بن الحسين (ع) في دعاء أبي حمزة الثّمالي: "تتحبّبُ إلينا بالنّعم ونعارضك بالذّنوب.."، "خير ُك إلينا نازل، وشرّنا إليك صاعد"، فا أي يعطينا المأكل والمشرب والمسكن، ونحن نغتاب ُ وننه ونأك ُل الأموال بالباطل، ونفت ِن "ولم يزل ملك كريم ُ يأتيك عنّا في كلّ يوم ٍ بعمل ٍ قبيح ٍ "، إنّها الملائكة التي تقد ّم تقريرها إلى ا تعالى "لا يمنعك ذلك من أن تحوطنا بنعمك، وتتفضّل علينا بآلائك، سبحانك ما أحلمك وأعظمك وأكرمك، مبدئا ً ومعيدا ً ".

كما وقد أدركنا أنّ كلّ ما نملك في هذا الكون الرحيب وما عندنا، هو من ا□ الخالق (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحَسْنُ الدْخَالِقِينَ) (المؤمنون/ 14)، فكلّ ما في الطبيعة من ماءٍ وهواءٍ وخلايا وأجهزة داخل الجسم، كلّها خلق ُ ا□، فهل يمكننا الاستغناء عن مقوّمات الحياة الكونيّة والإنسانيّة؟

نحن مرتبطون با الله الله الله بأحد في هذا الوجود، مربوطون به بكل وجودنا، حتى في لحظة ِ حضور الأجل، وسوف نق في أله بين يديه تعالى، وهذا الوقوف يوجب ُ علينا أن نقيم العلاقة مع ا ونوث قها، فكيف نوث ق علاقاتنا بمن تربطنا المصالح بهم، ولا نوث قها با الذي نحتاج القرب َ منه والحب ّ المتبادل

وهذا ما عبّر عنه الرسول (ص)، حين دفع الراية إلى أمير المؤمنين(ع) في معركة خيبر، بعد أن أخفق الجميع: "لأُعطين الراية غدا ً رجلا ً يحب ال ورسوله ويحبّه ال ورسوله"، فالحب متبادل من الجانبين. والسّؤال: كيف نحصل على هذا الحبّ؟

والظلم ُ ليس بمعنى الحاكمية، وإنسّما الظلم أن تأخ ُذ الحق ّ وتغصبه ممن له حق ّ عليك.. والظلم يكون من خلال الاعتداء على النسّاس الضعفاء أمامك، وهذه مسائل ٌ تحتاج إلى مناقشة ٍ وحسابٍ مع النفس، لأنسّنا مشغولون عن أنفسنا، فعن أمير المؤمنين (ع): "م َن نظ َر في عيب ِ غيره اشتغل عن عيب ِ نفسه"، النفس الأم ّارة بالسّوء، والتي لم يفك ّر أحدنا أن يجلس معها ليسألها عن نقاط ضعفها وقو ّتها، وليتساءل معها: كم كذبت كذبت؟ كم غيبة؟ كم ظلما ً؟ كم شتيمة؟ لنكن أصدقاء أنفسنا، فصديقك م َن صدقك لا م َن صد ّقك. . أن ننهى هذه النفوس عما يضر ّها، ونرشدها إلى ما ينفعها: "يا نفس ُ، ما نهى ا عنه فهو مما يُفسد حياة الإنسان في دنياه وآخرته، وأم ّا ما أمر َا ا به، فهو مما يصلح حياة الإنسان في دنياه وآخرته".

فلنفكّر بهذه الطريقة، ونحن في ضيافة ا□، حتى نخل ِص □ في شتّى أمورنا، وحساب النفس ليس أمرا ً سهلاً، إنّه يتحرّك في عالم الشهوة والمزاج (و َأ َمّّاَ م َن ْ خَافَ م َقَامَ ر َبّه َ و َنهَ َ سهلاً، إنّه يتحرّك في عالم الشهوة والمزاج (و َأ َمّّاَ م َن ْ خَافَ م َقَامَ ر َبّه َ و َنهَ َ النّه َهُ سَ عَن ِ الدّه َوَى (النازعات/41-40)، فالإنسان مدعوّ للنّه وسابها ومحاكمتها ومجاهدتها، "اجعل نفسك عدوّا ً تجاهده، لأنّها أمّارة بالسّوء إنّلا ما رحم ربي".